﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ فَقُلْ تَعَالَوْا۟ نَدْعُ أَبْنَآءَنَا وَأَبْنَآءَكُمْ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمْ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمْ ثُمَّ نَبْتَهِلْ فَنَجْعَل لَّعْنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٦١﴾﴾ [آل عمران: 61]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِمَا قَبْلَها:

إلزام الحُجَّة على من أعرض عن الحقِّ بعد قيامها عليه:

الآية تفريع على قوله: ﴿ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلْمُمْتَرِينَ﴾؛ لما فيه من إيماءٍ، إلى أنَّ وَفْدَ نجران ممترون في هذا الّذي بَيَّن الله لهم في هذه الآيات، أي: فإنِ استمرُّواْ على محاجَّتهم إيَّاك مُكابرة في هذا الحقّ، أو في شأن عيسى فادْعُهم إلى المباهلة والملاعنة، وروى المفسّرون وأهلُ السّيرة، أنَّ وفد نجران لمّا دعاهم رسول الله ﷺ إلى الملاعنة، قال لهم العَاقِب: نلاعنه، فوالله لئن كان نبيًّا فلاعَنَا لا نفلح أبدًا، ولا عقبنا من بعدنا، فلم يجيبوا إلى المباهلة، وعَدَلوا إلى المصالحة[1].

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿حَآجَّكَ﴾: خَاصَمَكَ وجَادَلَكَ، وقَارَعَكَ الحُجَّةَ، والمُحاجَّةُ هي مُفاعَلةٌ، ولا تَقَع إلَّا من اثنين فصاعدًا[2]، وهي أن يطلب كلّ واحدٍ أن يردَّ الآخَرُ عن حُجَّته ومحجَّته[3]، والحجّة: البرهان. تقول حاجَّهُ فحجَّه أي غلبه بالحُجَّةِ، وفي المثل: " لَجَّ فَحَجَّ ". وهو رجلٌ مِحْجاجٌ، أي جَدِلٌ. والتّحاجُّ: التّخاصُم[4].

2) ﴿مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: مِنْ: عَلِمَ يَعْلَمُ عِلْمًا، نقيض جهل. ورجل علّامة، وعلّام، وعليم، والله يحكي عن يوسف ﴿إِنِّى حَفِيظٌ عَلِيمٌ ﴿٥٥﴾﴾ [يوسف: 55][5]، "والعلم اليقين؛ يقال: عَلِمَ يَعْلَمُ، إذا تيقّن، وجاء بمعنى المعرفة أيضًا، كما جاءت بمعناه ضمن كلّ واحد معنى الآخر،

(1) الآلوسيّ، روح المعاني: 2/180، ابن عاشور، التّحرير والتّنوير: 3/264 - 265.
(2) درويش، إعراب القرآن وبيانه: 1/524.
(3) الرّاغبُ، المفردات: (حج).
(4) الجوهريّ، الصّحاح: (حجج).
(5) الخليل، العين: (حجج).

لاشتراكهما في كون كلّ واحد مسبوقًا بالجهل، لأنّ العلم وإن حصل عن كسب فذلك الكسب مسبوق بالجهل، وفي التّنزيل ﴿مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [المائدة: 83]، أي: علموا، وقال تعالى ﴿لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ﴾ [الأنفال: 60] أي لا تعرفونهم اللّه يعرفهم، وقال زهير:

وَأَعْلَمُ عِلْمَ الْيَوْمِ وَالْأَمْسِ قَبْلَهُ *** وَلَكِنَّنِي عَنْ عِلْمِ مَا فِي غَدٍ عَمِي[1]

ومعنى ﴿مِنۢ بَعۡدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلۡعِلۡمِ﴾، أي: مِنَ البَيِّنات والأدلّة المُوجبة للعِلْم، بأنَّ عيسى عبدُ اللّه ورسولُه[2].

3) ﴿تَعَالَوۡاْ﴾: هَلُمُّوا بالرَّأي والعزيمة. والمُراد: المجيء بالرَّأي والعزم، كما تقول: تعالَ نُفكِّر في هذه المسألة[3]. وأَصلُه طلبُ الإقبال إلى مكانٍ مُرتفع، ثمَّ توسّع فيه فاستُعمل في مجرَّد طلب المجيء[4]، وتَعالَوا: لغةٌ في تَعالَوْا، أُلقِيَتْ ضَمّةُ الواوِ على اللّام[5].

4) ﴿نَبۡتَهِلۡ﴾: مُشْتَقٌّ مِنَ الْبَهْلِ، وَهُوَ الدُّعَاءُ بِاللَّعْنِ، وَيُطْلَقُ عَلَى الِاجْتِهَادِ وَالتَّضَرُّعِ فِي الدُّعَاءِ مُطْلَقًا؛ لِأَنَّ الدَّاعِيَ بِاللَّعْنِ يَجْتَهِدُ فِي دُعَائِهِ، وَالْمُرَادُ فِي الْآيَةِ: نتباهل بأن نقول: بهلةُ اللَّه: لعنته على الكاذب مِنَّا ومنكم[6].

❁ المَعْنَى الإِجْمَالِيُّ:

المباهلةُ درسٌ للأمَّة لإثبات الحقِّ أمام المكابرين:

فمَن جادَلَكَ، أيُّها الرَّسولُ، من نصارى نجران في أمر عيسى، زاعمًا أنَّه ليس عبدًا للّه من بعد ما جَاءك مِنَ العِلْم الصَّحيح في شأنه؛ فقل لهم: تعالوا نَدْعُ مَن عندنا مِن ذُرِّيَّةٍ ونساءٍ ورجالٍ، ومَن عندكم من ذُرِّيَّة ونساءٍ ورجالٍ؛ أي يتلاقى جمعُنا وجمعُكم، ثمَّ يُعلن كلُّ واحدٍ مِنَّا إيمانَه بما عنده، ونبتهل إلى اللّه ضارعين إليه، مُتَّجهين بقلوبنا نحوه، أن يجعلَ لعنته وطرده من رحمته على الكاذبين في دعواهم، المنحرفين في اعتقادهم،

(1) الفيّوميّ، المصباح المنير: (علم).
(2) الزَّمخشريُّ، الكشَّاف: 1/368، البيضاوي، أنوار التَّنزيل: 2/20.
(3) الطِّيبي، فتوح الغيب: 4/128، أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/46.
(4) الآلوسيُّ، روح المعاني: 2/180.
(5) الصّغانّي، الشّوارد، ص: 14.
(6) الطِّيبي، فتوح الغيب: 4/128، أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/46، ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/265، جبل، المعجم الاشتقاقي: (بهل).

وهذا المعنى هو ظاهر الآية؛ إذ فيه الدَّعوة الجماعيَّة من الفريقين؛ ليكون الجمع في مقابل الجمع، فيُعرَف المحقُّ من المبطِل[1].

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغِيُّ:

دلالةُ الفاء في المطلع:

معنى الفاء الإفصاح عن شَرْطٍ مُقدَّر

الفاء في قوله: ﴿فَمَنْ حَآجَّكَ فِيهِ﴾ فاءُ الإفصاح؛ إذ إنَّها تُفصح عن شَرْطٍ مُقدَّر؛ والمعنى إذا كانت هذه حقيقة السَّيد المسيح عليه السلام، وهذه إرادة الله تعالى في الخَلْقِ والتَّكوين، فكلُّ ما يُدَّعَى له من الألوهيَّة باطلٌ، ولا يُؤمن به أَحد[2].

بيان مُتعلّق الضَّمير في ﴿فِيهِ﴾:

تعدّد احتمال عود الضمير توسُّعٌ في الدلالة

الضَّمير في: ﴿فِيهِ﴾ يعود على عيسى عليه السلام؛ لأنَّ المنازعة كانت فيه؛ ولأنَّ تصدير الآية السَّابقة في قوله: ﴿إِنَّ مَثَلَ عِيسَىٰ عِندَ ٱللَّهِ كَمَثَلِ ءَادَمَ﴾ وما بعده جاء من تمام أمره، وقيل: يعودُ على الحقِّ، وظاهرٌ من العُموم في كلِّ مَنْ يحاجّ في أمر عيسى. وقيل: المراد وفد نجران[3].

عِلَّة التَّعبير بلفظة ﴿ٱلْعِلْمِ﴾:

التعبير بلفظة (العلم) تلخيصٌ للدليل والحجّة

معنى قوله تعالى: ﴿مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَكَ مِنَ ٱلْعِلْمِ﴾: مِنَ البيِّنات المُوجبة للْعِلْم، وإطلاق العِلْم عليها إمَّا حقيقيّ، لأنَّه نوعٌ منه، وإمَّا مجازٌ مُرسل بإطلاق المصدر على المفعول، أي: من بعد ما جاءك من المعلوم[4]. فاللَّام في ﴿ٱلْعِلْمِ﴾ للعَهْدِ، وهو تلخيصُ الدَّليل الموجب؛ لأنَّ عيسى مخلوقٌ من مخلوقاته، وليس بابن له، ولا تفاوت بينه وبين آدم المخلُوق من التُّراب المكون بكلمة التَّسخير، ويدلُّ على

(1) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1252، نخبة من العلماء، المختصر في تفسير القرآن، ص: 57.
(2) أبو زهرة، زهرة التَّفاسير: 3/1252.
(3) أبو حيَّان، البحر المحيط: 3/187.
(4) الآلوسيُّ، روح المعاني: 2/180.

أنَّ البيِّنة الموجبة للعِلْم ذلك قوله تعالى: ﴿ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُن مِّنَ ٱلۡمُمۡتَرِينَ﴾، يعني: إذا عاندوا للحقِّ بعد ذلك لم يبقَ إلَّا الدَّعوة إلى المُلاعنة وتعجيزهم بالمباهلة الَّتي تستأصلهم، فقوله: ﴿ٱلۡحَقُّ﴾ وقوله: ﴿ٱلۡعِلۡمِ﴾ مُعبِّران عن تلخيص الدَّليل[1].

دلالةُ التَّرتيب في الدّعوة:

تقديمُ الأعزّ على الأخصّ دليلُ إيمان ويقين بحفظ الله تعالى

وجهُ التّرتيب في قوله تعالى: ﴿نَدۡعُ أَبۡنَآءَنَا وَأَبۡنَآءَكُمۡ وَنِسَآءَنَا وَنِسَآءَكُمۡ وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾ الآتي:

أوَّلًا: قدَّم ما يُدافع عنه ذوو الأحساب ويفدونه بنفوسهم، وقدَّم منه الأعزَّ الألصق بالأكباد وختم بالمدافع، وهذا التَّرتيب على سبيل التَّرقيّ إذا اعتبرتَ أنَّه قدَّم الفَرْعَ ثمَّ الأصلَ وبدأ بالأدنى وختم بالأعلى؛ وفائدة الجمع الإشارة إلى القطع بالوثوق أنهم على حَقٍّ[2].

ثانيًا: يقينه ﷺ في إحاطة حفظ الله تعالى بمن قدَّمهم على النَّفس في المباهلة، فقدَّمَ جانبه على جانب المخاطبين، مع رعاية الأصل في الصِّيغة فإنَّ غير المُتكلِّم تبعٌ له في الاسناد[3].

ثالثًا: اكتُفيَ بذِكر الأبناء دون البَنَاتِ؛ لظهور كونِهم أعزَّ منهنَّ؛ وأمَّا النِّساءُ فتعلُّقهن من جهة أخرى[4].

رابعًا: في قوله تعالى: ﴿وَأَنفُسَنَا وَأَنفُسَكُمۡ﴾. فقد عنى بـ (الأنفس): بَنِي العَمِّ، والعَرَبُ لا تستنكر أن تُخبر عن ابن العَم بأنَّه نفسُ ابن عمِّه، وقد قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَلۡمِزُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ﴾ [الحجرات: 11]؛ أراد: إخوانكم في الدِّين، فأجرى الأُخوَّةَ في الدِّين مجرى الأُخوَّةِ في القرابةِ، وإذا وقعت النَّفس على البعيد في النَّسب، كان أجدر أن تقع على القريب في النَّسب والدِّين؛ وإنَّما قُلنا هذا، لأنَّ المُتكلِّم لا يقولُ: ادعوا فلانًا وفلانًا ونفسي؛ لأنَّه يكون حاضرًا[5].

(1) الطِّيبي، فتوح الغيب: 4/128.
(2) البقاعيُّ، نظم الدُّرر: 4/443، الشربيني، السِّراج المنير: 1/222، أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/46.
(3) الآلوسيُّ، روح المعاني: 2/180، أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/46.
(4) أبو السُّعود، إرشاد العقل السَّليم: 2/46.
(5) الواحدي، التَّفسير البسيط: 5/332.

عِلَّةُ ضَمِّ الأبناءِ والنِّساءِ إلى النَّفسِ:

ضَمَّ رسول الله ﷺ إلى النَّفسِ الأبناءَ والنِّساءَ؛ لأنَّه أتمّ وأكمل في الدَّلالة على ثقتِهِ بحاله، ويقينه بصدقهِ، وأشدّ نكايةً بالعَدوِّ، وأوفر إضرارًا به لو تمَّت المباهلة، وفي هذه القِصَّة أوضحُ دليلٍ على نُبوَّته ﷺ، وإلَّا لما امتنعوا عن مُباهلته، ودلالتها على فضل رسوله ﷺ وآله الأطهار ممَّا لا يمتري فيها مُؤمنٌ[1].

سبب الضمّ أنَّه أتمّ في الدَّلالة على ثقتِهِ بحاله، ويقينه بصدقهِ، وأشدّ نكايةً بالعَدوِّ

بلاغة التَّعبير في الفاصلة:

في قوله: ﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ مجازٌ عقليٌّ، إذ نسَب جَعْل اللَّعنة إليهم، لأنَّهم تسبَّبوا إليه بالابتهال والدُّعاء.

وجه المجاز العقلي نسبةُ جعلِ اللَّعنة إليهم لتسبُّبهم اليه بالابتهال

سرُّ كتابةِ اللَّعنة بالتاء المفتوحة:

كلُّ ما في كتاب الله تعالى من ذِكر (اللَّعنة) فهو بالهاء، إلَّا حرفين في آل عمران: ﴿فَنَجۡعَل لَّعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَى ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾، وفي النُّور: ﴿وَٱلۡخَٰمِسَةُ أَنَّ لَعۡنَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡهِ إِن كَانَ مِنَ ٱلۡكَٰذِبِينَ﴾ [النور: 7][2]، ويبدو من سياق الآيات الَّتي جاءت فيها الكلمتان أنَّ (لَعْنَت) بالتَّاء المبسوطة تدلُّ على أنَّها لعنة خاصَّة لمواقف خاصَّة، و(لَعْنَة) بالتَّاء المربوطة تدلُّ على أنَّها لَعْنَة عامَّة، أو أنها لعنة مُمْتَدَّةٌ مَبْسُوطَةٌ تبسط ظلالها وتمتدُّ فتعمُّ صاحبَها لشدّة ظلمه ومجادلته في الباطل، والله تعالى أعلم.

في الرّسم القرآني إلماحٌ بلعنة خاصَّة لمواقف خاصَّة، ولَعْنَة عامَّة مبسوطة

❁ الفُرُوقُ المُعْجَمِيَّةُ:

(أَتَى)، و(جَاء):

تشترك الصِّيغتان في دلالة القُدُوم والإقبال، غير أنَّ بينهما فُروقًا تتكشَّف عند تأمُّل السِّياق، إذ نجد (أَتَى) مُستعملة في الأمور الّتي يتوصَّل إليها بسهولة، أو تكون في سِياقٍ تنساب فيه المعاني

(1) الآلوسيُّ، روح المعاني: 2/181، ابن عاشور، التَّحرير والتَّنوير: 3/265.
(2) الأنباري، إيضاح الوقف والابتداء: 1/286.

بسهولةٍ، كقوله تعالى: ﴿أَتَىٰٓ أَمۡرُ ٱللَّهِ فَلَا تَسۡتَعۡجِلُوهُۚ﴾ [النّحل: 1]، وأمَّا المجيءُ فيأتي لِمَا فيه صُعوبة ومشَّقة، ولعلَّ ذلك يعود إلى لفظ كلٍّ من الفعلين، فـ (أَتَى) أخفُّ من (جَاء)، وممَّا يدلُّنا على ذلك أنَّ (أَتَى) يُؤخذ منهما الأزمنة الثَّلاثة: الماضي، والمضارع، والأمر، فنقول: أتى، ويأتي، وائتِ، وكلُّها وردت في القرآن، في حين وردت (جَاء) ملازمةً حالةً واحدةً، وهي أن تأتي بزمن الماضي فحسب، وكذلك هي في القرآن الكريم، ولم يأتِ منها مضارعٌ ولا أمرٌ؛ لثقلها فلا تجد في القرآن الكريم يجيء أو جِئْ، ولا يخفى ما فيها من الثِّقَل والصُّعوبة[1].

(تَعَالَ) و(هَلُمَّ):

تَعَالَ: بِفَتْح اللَّام: أَمر أَي: جِئْ، وَأَصله أَن يَقُوله من فِي الْمَكَان الْمُرْتَفع لمن فِي الْمَكَان المنخفض، ثمَّ كثر حَتَّى اسْتَوَى اسْتِعْمَاله فِي الْأَمْكِنَة، عالِيةً كَانَت أَو سافلة، فَيكون من الْخَاصِّ الَّذِي جُعِلَ عَامًّا، وَاسْتُعْمِلَ فِي مَوضِعِ الْعَامِّ[2]، وأمّا هَلُمَّ: وَأَصْلُهَا هَلْ أَؤُمُّ، كَلَامُ مَنْ يُرِيدُ إِتْيَانَ الطَّعَامِ، ثُمَّ كَثُرَتْ حَتَّى تَكَلَّمَ بِهَا الدَّاعِي، وَيَحْتَمِلُ أَنْ يَكُونَ مَعْنَاهَا هَلْ لَكَ فِي الطَّعَامِ أُمَّ، أَي اقْصِدْ[3]، قال هشام بن المغيرة:

هَلُمَّ إِلَى أُمَيَّةَ إِنَّ فِيهَا ***شِفَاءُ الوَارِيَاتِ مِنَ السَّقَامِ[4]

وآثر القرآن تعالوا على هَلُمَّ في هذه الآية للدّلالة على طلب العلوّ في صحّة الاعتقاد، والارتفاع عن حضيض الجدل الّذي لا دليل له.

اللَّعْن والبَهْل:

أَنَّ اللَّعْن هُوَ الدُّعَاء على الرَّجُل بالبُعْدِ، والبَهْلُ الاجْتِهَاد فِي اللَّعْنِ. قَالَ الْمبرِّد: بَهَلَهُ اللهُ، يُنْبِئُ عَن اجْتِهَاد الدَّاعِي عَلَيْهِ باللَّعن؛ وَلِهَذَا قيل للمُجتهد فِي الدُّعَاء: المُبتهل[5]، وآثر القرآن الابتهال على اللّعن في هذه الآية، للدّلالة على قوّة يقين رسول الله ﷺ في أنّه على الحقّ.

(1) الرَّاغبُ، المفردات، ص: 60، الدُّوري، دقائق الفروق البيانيَّة، ص: 229.
(2) الكفويُّ، الكُلِّيَّات، ص: 316.
(3) ابن فارس، المقاييس: (هلم).
(4) الخليل، العين: 8/300.
(5) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 52.

الْجَعْل وَالْعَمَل:

أَنَّ الْعَمَل هُوَ إيجاد الأثر في الشَّيْء، والجَعْلُ تَغْيِيرٌ بإيجاد الْأَثر فِيهِ، وبِغَيْر ذَلِك، أَلَا ترى أَنَّك تَقول: جَعَلَ الطِّين خَزَفًا، وَجَعَلَ السَّاكِنَ مُتحرِّكًا، وَتقول: عَمل الطِّين خَزَفًا، وَلَا تَقول: عَمل السَّاكِن مُتحرِّكًا؛ لِأَنَّ الْحَرَكَة لَيست بأثر يُؤثّر بِهِ فِي الشَّيْء.[1]

(1) العسكري، الفروق اللُّغويَّة، ص: 136.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الخامس، سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1444هـ - 2023م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2023م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140 [إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2023.
مج. 5 ، 800 صفحة ؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-798-57-6
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 5 : سورة آل عمران من الآية 39 إلى الآية 140.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن- ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث ج- المستغانمي، امحمد صافي

الترقيم الدولي : 978-9948-798-57-6
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-1170694 بتاريخ 2023/03/14م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»